التّنوع الثّقافي في الجزائر من خلال الأزياء التّقليديّة: مقاربة سوسيو- أنثروبولوجيّة لمجموعة متحفيّة تابعة للمركز التّفسيري للباس التّقليدي

Cultural diversity in Algeria through traditional costumes:

a socio-anthropological approach to a museum collection belonging to the Interpretive Center for Traditional Dress

أ.خيذر جميلة*

د. دحماني سليمان**

تاريخ الاستلام: 17 / 04/ 2021 / **تاريخ القبـــول:** 28 / 04/ 2021

ملخّص: نسعى من خلال هذه الورقة البحثيّة إلى إبراز أحد مظاهر التّنوع الثّقافي في الجزائر، ألا وهو تنوع الأزياء التّقليديّة التّي تختلف من منطقة إلى أخرى، وهذا من خلال دراسة سوسيو- أنثروبولوجيّة لمجموعة متحفيّة تابعة للمركز التّفسيري للباس التّقليدي، الكائن مقره بقصر الزّيانيين الملكي (قصر المشور) بمدينة تلمسان.

ولقد توصلت هذه الدّراسة إلى أن هذه الأزياء التّقليديّة قد عكست إلى حد بعيد الثّقافات المحليّة والفرعيّة التّي تميز منطقة ما عن غيرها من المناطق داخل القطر الجزائري، كما عكست الطّبقات الاجتماعيّة، وعكست أيضا المعتقدات والطّقوس الشّعبيّة؛ كما توصلت هذه الدّراسة أيضاً إلى أن جزءًا كبيرا من هذا التّراث الأصيل تعرض إلى الإهمال والاندثار جراء التّغيرات السّياسيّة، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة، التّي شهدها المجتمع الجزائري منذ دخول الاحتلال الفرنسي في عام 1830.

كلمات مفتاحيّة: التّنوع الثّقافي؛ الأزياء التّقليديّة؛ مكملات الزّي التّقليدي؛ المركز التّفسيري للّباس التّقليدي؛ سوسيو- أنثروبولوجيا اللّباس.

* جامعة مولود معمري، الجزائر، djamila.docdorat@ yahoo.fr (المؤلف المرسل)

** جامعة مولود معمري، الجزائر، elostadanthropo@ gmail.com

Abstract: Through this research paper, we seek to highlight one aspect of cultural diversity in Algeria, which is the diversity of traditional costumes that differ from one region to another, and this is through a socio-anthropological study of a museum group affiliated with the Interpretive Center for Traditional Dress, located in the Royal Ziani palace in Tlemcen.

This study found that the traditional costumes reflected to a large extent the local and subcultures that distinguish one region from others in Algeria, as well as social classes, and the popular beliefs and rituals. The study also found that part of this authentic heritage has been neglected and extint as a result of the political, economic and social changes that algerian society has witnessed since the french entry in 1830.

Keywords: cultural diversity; traditional coostumes; traditional costume supplements; Interpretive Center for Traditional Dress; Socio-anthropology of dress.

1. **مقدّمة :** بادئ ذي بدء، نشير إلى قلة الدّراسات التّي تناولت الملابس والأزياء التّقليديّة من النّاحيّة السّوسيولوجيّة والأنثروبولوجيّة، ولقد أكدت عالمة الأنثروبولوجيا فدوى الجنيدي في هذا السّياق، أن وصف الملابس في التّقارير الإثنوغرافيّة أمر نادر. والمواد الإثنوغرافيّة الموجودة أينما كانت تظل متناثرة في السّجلات والدّراسات، ربما للأهميّة الثّانويّة نسبيا التّي تعزى للملابس مقارنة بغيرها من جوانب المجتمع والثّقافة، مثل القرابة، والقانون، والزّواج، والدّين...إلخ. ظلت التّقارير الإثنوغرافيّة عن الملابس والرّوايات التّي تحكي عنها مفتتة، في انتظار أدوات مفاهيميّة ذات كفاءة لتعطيها شيئا من التّماسك. كما كان البحث الأنثروبولوجي يحتاج إلى إطار فكري لدراسة الملابس (الجنيدي، 2016، ص 125).

كما أشار الباحث التّونسي يوسف بن موسى في ذات الإطار إلى أن مبحث اللّباس يعتبر مبحثا راسخا في الدّراسات الاجتماعيّة والإنسانيّة، فقد شهدت الدّراسات المتخصصة في اللّباس تطورا منذ مطلع القرن العشرين وفيها تقاطعت عدة مناهج وعدة حقول معرفيّة، مثل علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والدّراسات المتخصصة في التّدين، وكذلك الموضة واقتصاد النّسيج (...) والدّراسات التّي قاربت اللّباس في الثّقافة العربيّة من منظور أنثروبولوجي فيغلب عليها التّمركز الحضاري إذ أن أغلبها تدرس خصائص عند سكان المدن والعواصم الكبرى في الوطن العربي، بينما تشكل ملابس سكان الأرياف والقرى الرّيفيّة في الوطن العربي معينا غزيرا من المادة البحثيّة تصلح لأن تكون قاعدة للدراسات الاجتماعيّة والأنثروبولوجيّة (بن موسى، ربيع 2018، ص 114- 118).

وتعد الأزياء التّقليديّة الجزائريّة، أي مجموع الألبسة المتوارثة من جيل إلى آخر، والتّي يرتديها الجزائريون خاصة في المناسبات كالأعياد الدّينيّة، وحفلات الزّفاف والختان، مظهرا من مظاهر التّنوع الثّقافي في الجزائر، إلى جانب اللّغات واللّهجات، والعادات والتّقاليد، وفنون

الموسيقى والغناء، والرّقص الشّعبي، والحرف التّقليديّة...إلخ، التّي تميز كل منطقة على حدة.

ولا شك أن الأزياء التّقليديّة الجزائريّة، لا تقتصر في كونها استجابة إلى البيئة الطّبيعيّة المحيطة وتحمل دلالات اجتماعيّة، وتشكل مرآة تعكس رقي وتحضر المجتمع فحسب، بل تعد مؤشرا للتغيرات السّياسيّة والاقتصاديّة، والاجتماعيّة التّي مر بها؛ ولا تزال الأزياء التّقليديّة في الجزائر عميقة التّأصل في الطّقوس والعادات التّي يمارسها سكان الحضر والرّيف في كافة مناطق البلاد. وتدخل اليوم في التّعريف بالهويات الثّقافيّة، وفي تنظيم الحياة الاجتماعيّة للنساء والرّجال من مختلف الأجيال. والتّنوع الكبير للزي الشّعبي الجزائري الذّي بقي على حاله إلى بدايات القرن الواحد والعشرين يكشف عن تنوعات أسلوبيّة مذهلة قارعت صروف [الدّهر] وتأثيرات العولمة. ولا تفتأ الأشكال والتّنميقات إضافة إلى الطّقوس والرّموز المرتبطة بهذه الأزياء تتطور باستمرار (وزارة الثّقافة، 2011، ص 15)؛ وهذا هو السّبب الرّئيس الذّي دفعنا إلى اختيار موضوع الأزياء التّقليديّة في الجزائر بالذّات.

وفي ضوء ما سبق، سوف نقوم بتسليط الضّوء على تنوع الأزياء التّقليديّة الجزائريّة، اعتمادا على مجموعة متحفيّة تابعة للمركز التّفسيري للباس التّقليدي، الذّي تأسس في عام 2012، إثر إدراج زي الشّدة أو لبسة الأرفطان التّقليديّة، ضمن لائحة اليونيسكو التّمثيليّة للتراث الثّقافي غير المادي للإنسانيّة، والكائن مقره بقصر الزّيانيين الملكي، المعروف محليا بـ" قصر المشور"، وهو أحد المعالم الأثريّة التّي تزخر به مدينة تلمسان.

ولقد حافظنا في هذا المقال على تصنيف المتحف لهذه الأزياء، حسب التّرتيب الآتي: الأزياء الملحفيّة؛ الأزياء التّي تلبس من الرّأس؛ الأزياء التّقليديّة المفصلة؛ مكملات الزّي التّقليدي؛ ولقد أُعْتُمِد في هذا التّصنيف على طريقة لبس الزّي التّقليدي.

2. الأزياء الملحفيّة

1.2 الحايك: وهو عبارة عن قطعة قماش واحدة تلف بها المرأة نفسها بطريقة متقنة، ويمكن أن يكون من الصّوف لفصل الشّتاء، أو من الحرير، وهو النّوع المستعمل في الصّيف، ويكون نوع النّسيج على حسب مكانة الأفراد الاجتماعيّة، ويكون عادة مربعا أو مستطيلاً، وطوله وعرضه ما بين متر ونصف إلى مترين، ويعرف هذا الأخير في مدينة تلمسان باسم "الكسا" (...) وفي بعض النّواحي الشّرقيّة الجزائريّة، تستعمل المرأة لباساً يسمى" بالملاي" وهي عبارة عن غطاء كبير ذي لون أسود غامق، ونجد هذا النّوع مثلا في قسنطينة، عنابة سطيف، أم البواقي (جعفري، 2018، ص 345- 346).

وللحايك عدة أنواع، هي:

- **حايك المرمة:** وينسج عادة من الحرير الخالصّ ويقتصر ارتداؤه على نساء الطّبقة الميسورة، ولقد اشتهرت به نساء العاصمة.

- **حايك العشعاشي:** وكان ينسج هذا النّوع من الحايك بمدينة تلمسان، وهو ثوب خالصّ البياض تلبسه نساء العامة.

- **حايك السّفساري:** يصنع هذا النّوع من الحايك من الحرير أو القطن، وينتشر في الشّرق الجزائري، وفي تونس كذلك، وهو متعدد الألوان أسود وأبيض وأصفر. ويعود تاريخ السّفساري إلى الأندلس، وقد انتقل إلى المغرب العربي مع قدوم اللّاجئين حتى أصبح لباسا تقليديا في تونس في القرن السّادس عشر، لكنه أصبح اليوم أقل استعمالا (أحمد، 2018، ص 146- 147).

2.2 البرنوس: ويمكن تعريفه على أنه رداء واسع يغطي كامل البدن استعمله الرّجال البربر منذ قديم الزّمان. (...) ينتشر هذا البرنوس الرّجالي ذو الأصل الأمازيغي في كل المناطق الرّيفيّة والحضريّة المغاربيّة، ويصنع من أصواف ذات سماكة ونوعيّة مختلفة تؤخذ من ألياف حيوانيّة متنوعة. ولم يفتأ هذا الرّداء يرافق الرّجال في حياتهم اليوميّة سواء لبسه الرّاعي في البراري والسّهوب أم رجل الأدب في الوسط الحضري (وزارة الثّقافة 2011، ص 28).

ولقد ساق المستشرق الهولوندي دوزي، في موسوعته الموسومة بـ"المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب"، ما ذكره دييكو ذي هيدو عن سكان الجزائر، حيث قال: يرتدون فوق جماع ثيابهم لباسا يشبه المعطف وهو البرنس الأبيض ولكن أفراد الطّبقة الأرفع يرتدون البرانس الملونة السّود أو الزّرق، وفي أيام البرد يتدثرون بدثار آخر من نفس الألوان (دوزي، 2012، ص 71).

3.2 الملحفة ذات الأخراص: يشير دوزي إلى أن كلمة ملحفة كانت تستعمل في المغرب والأندلس للإشارة إلى الخمار الكبير أو الإزار الذّي تتحجب به النّساء في الشّرق حينما يبرزن من منازلهن (دوزي، 2012، ص 355).

أما الملحفة ذات الأخراص هي عبارة عن ملحفة يتم تثبتها على الكتفين بخرصين أو إبزيمين ويثبت الطّرف الجانبي المفتوح بحزام يشد على الخصر. وفي غالب الأحيان تزين الملحفة التّي يتم ارتدائها في المناسبات برموز بربريّة. وتدخل الملحفة ذات الأخراص في وقتنا الحاضر، في تشكيل الزّي التّقليدي للنساء في منطقة الأوراس (بلاد الشّاويّة) خاصة.

4.2 الفوطة المقلّمة: الفوطة هي عبارة عن قطعة من النّسيج غير مخيطة، يمسكها الحزام من الأمام ومن الخلف. وقد اتخذت لباسا عاديا عند بعض النّساء في بيوتهن بدلا من السّراويل. وفي مدينة الجزائر، تلبس الفوطة داخل البيت بصفة عاديّة، إذ عند دخول المرأة من الخارج تنزع حايكها وأحيانا أخرى قميصها وتضع الفوطة عوض السّروال. إلا أن هناك من يضعن الفوطة مباشرة فوق السّروال. هذا، وتصنع الفوطة في غالب الأحيان من الحرير أو القطن أو تكون مخططة بألوان متعددة (...) وما تزال الفوطة

مستعملة في وقتنا الحالي ومنتشرة بكثرة في منطقة القبائل (طيان، 1991، ص 113- 114).

3.الأزياء التّي تلبس من الرّأس

1.3 قندورة القطيفة: تسمى أيضا "القندورة القسنطينيّة" أو "قندورة الفرقاني" نسبة إلى عائلة الفرقاني المشهورة في ميدان الخياطة التّقليديّة بمدينة قسنطينة، وهي عبارة عن فستان طويل من المخمل (القطيفة) ذو أكمام قابلة للإزالة. ولقد طرأت على هذا اللّباس التّقليدي عدة تغيرات لاسيما من حيث الألوان وأنماط التّطريز.

2.3 البلوزة الوهرانيّة: هي عبارة عن قميص ضيق من جهة الصّدر، ومزود بأكمام قصيرة ويلبس بمفرده، فوق لباس آخر خفيف يطلق عليه "الجلطيطة"، وتتبث البلوزة عادة في وسط جسم المرأة بحزام حلي بالذّهب أو الفضة؛ وتنتشر البلوزة الوهرانيّة في منطقة الغرب الجزائري خاصة.

3.3 الفساتين ذات الدّوائر (أو الكشاكش): مثل الفستان النّايلي أو "النّاليّة" و" البونوار أو البينوار السّطايفي" نسبة إلى النّوّار أي الأزهار، وتشبه هذه الفساتين النّموذج الأصلي للبلوزة الوهرانيّة. وينتشر هذا الزّي في بعض المناطق كالمسيلة، وبوسعادة، والجلفة.

4.3 التّاقندورث (الجبة القبائليّة الأمازيغيّة): تعد الجبة القبائليّة الأمازيغيّة من أهم الألبسة التّقليديّة في الجزائر، وتنتشر في منطقة القبائل خاصة ويتمثل هذا اللّباس في جبة طويلة مفتوحة من جهة الصّدر واسعة ولها أكمام طويلة، كما تضع له حزاما على مستوى الخصر وخمارا على رأسها، ولكن قد تطرأ عليه تغيرات تبعا للمناسبة والنّشاط والوقت الذّي تلبسه فيه، ففي فصل الشّتاء تلبس ما يسمى أجلال في منطقة آث هيشم، مصنوع من الصّوف الأبيض مطرز على شكل مستطيل دون خياطة من الجهتين، ويشد من جهة الكتفين بواسطة حلي خاص من الفضة (تمساوت، 2021، ص 539- 540).

5.3 القمصان الرّجاليّة: وتتمثل خاصة في الجلابة التّي تحتوي على قلنسوة (قلمونة)، وكمين على شكل مستطيل، والقندورة أو القشابيّة كما تسمى في الغرب الجزائري، التّي تخلو من القلنسوة والكمين، وهي رداء أخف من الجلابة التّي تصنع من الصّوف، لكي تقي من البرد.

6.3 السّروال الجزائري: يلبس السّروال عن طريق القدمين، وهو خاص بالرّجال والنّساء على السّواء، ويشد السّروال في ناحيّة النّطاق بحزام خاص يدعى التّكة. أما في الجزائر في العهد العثماني فقد كانت المرأة الجزائريّة تلبس نوعين من السّراويل: نوع خاص بالبيت، وآخر خاص للخارج.

فالنّوع الأول صغير وقصير لا يغطي الفخذين لذا تستعين المرأة بالفوطة في بعض الأحيان. يكون السّروال متعدد الألوان والأشكال ومطرز في بعض الأحيان. إضافة إلى هذا السّروال هناك أنواع أخرى تكون شبه ملتصقة بالفخذين وضيقة في مستوى الرّكبتين. وهذا النّوع معروف بكثرة عند المرأة الحضريّة الأندلسيّة. هذا،

ويلبس هذا النّوع من السّراويل خلال الشّغل المنزلي. وعندما تنتهي المرأة من عملها تنزعه وتضع سروالا آخر أكثر فخامة من الأول.

أما النّوع الثّاني من السّراويل والخاص بالخروج يسمى باللّهجة المحليّة سروال زنقة، مصنوع من كتان أبيض اللّون بالنّسبة للمرأة المتزوجة ومتعدد الألوان بالنّسبة للفتاة. وغالبا ما يلبس فوق السّروال الأول.

إضافة إلى هذين النّوعين لبست المرأة الجزائريّة نوعا آخر خاصا بالحفلات والأعراس وأيام الاستقبالات. وهو يختلف عن النّوعين السّابقين بكونه منتفخا كما أنه يلبس مع القفطان أو الغليلة، لتظهر به المرأة أنيقة، زد على ذلك فإنه يصنع من الحرير الغالي الثّمن ومطرز بالخيوط الحريريّة. يرجح أن يكون هذا السّروال قد أدخل إلى الجزائر عن طريق الأتراك، وهذا ليس بجديد لأن معظم ملابس المرأة الجزائريّة كانت تفد من الشّرق (طيان 1991، ص 113- 114).

4.الأزياء التّقليديّة المفصلة

1.4 قفاطين الأفراح: ومنها القفطان الجزائري وهو عبارة عن سترة طويلة ذات أكمام واسعة وطويلة يمكن ارتداؤها فوق ملابس أخرى. وكختلف القفطان من منطقة إلى أخرى من حيث التّطريز، وكان في أول ظهوره حكراً على الرّجال من الخاصة، ثم انتشر بين العامة، فأصبح يرتديه النّساء والرّجال، ولقد ظهر القفطان في الجزائر كمحصلة لتوسع الدّولة العثمانيّة، وأصبح يشكل زيا شعبيا في بعض المدن الجزائريّة كمدينة تلمسان والجزائر العاصمة، وهران، والبليدة. ويوجد عدة أنواع للقفطان الجزائري، أشهرها قفطان القرنفلة، وقفطان الباي وقفطان القاضي، وسترة جبدولي المزينة بتطريزات، والخاليّة من الأكمام التّي كان يرتديها الرّجال في المناطق الحضريّة؛ والمنصوريّة؛ والشّدة التّلمسانيّة، وهو لباس تقليدي خاص بمنطقة الغرب الجزائري، وتحديدا في مدينة تلمسان، ونظرا إلى قيمته التّاريخيّة، والثّقافيّة، والجماليّة، فقد أدرجته منظمة الأمم المتحدة للتربيّة والثّقافة والعلوم (اليونسكو) ضمن لائحة التّراث الثّقافي غير المادي للإنسانيّة، في الدّورة السّابعة للجنة الوزاريّة المشتركة لحمايّة التّراث الثّقافي غير المادي المنعقدة بمقر المنظمة في باريس عام 2012.

وتجمع الشّدة التّلمسانيّة في تشكيلة متناسقة، بين عدة حضارات، فالبلوزة تنتمي إلى الحضارة العربيّة والفوطة تنتمي إلى الحضارة الأمازيغيّة، والقفطان ينتمي إلى الحضارة العثمانيّة، بينما تستمد الشّاشيّة أصولها من الحضارة الأندلسيّة؛ علاوة على مجموعة من المجوهرات التّي تغطي الرّأس.

2.4: كاراكو العاصمة: وهو لباس تقليدي جزائري، وينتمي تحديدا إلى مدينة الجزائر. ولقد نشأ الكاراكو من سترة الرّجل المعروفة باسم الجبدولي. والكاراكو عبارة عن سترة مفتوحة من الأمام تغلق بواسطة دبابيس أو مشبكات

أسفل الخيوط التّي لم تعد سوى زخارف. يصنع الكاراكو من الحرير أو القطيفة. ويطرز من الأمام بالذّهب أو الفضة بالإضافة إلى زخرفته بقياطين تعلق في خيوط ذهبيّة. لا يزال الكاراكو يلبس في مدينة الجزائر، ويعتبر اللّباس الشّائع في الأعراس والحفلات إلى وقتنا الحالي (طيان، 1991، ص110).

ويتكون عادة الكاراكو من قطعتين: الأولى عبارة عن سترة مخمليّة مطروزة؛ أما الثّانيّة فتصمم على شكل تنورة أو على شكل سروال (سروال الشّلقة)، وتضع المرأة على رأسها عند لبسها للكاراكو "محرمة الفتول" الملونة باللّون الفضي أو الذّهبي وفق لون اللّباس، إضافة إلى الجواهر.

5. مكملات الزّي التّقليدي

1.5 العمامات الرّجاليّة: وتسمى [في بعض المناطق] بالشّاش أو الحواق، وهو عبارة عن قطعة قماش طويلة يصل طولها إلى خمسة أمتارٍ أحيانا وعرضها إلى متر ونصف، وهي مستطيلة الشّكل، ويفضل [أهل الصّحراء] اللّون الأبيض، وذلك لأسباب مناخيّة، فلهذا اللّون دور في رد أشعة الشّمس الحارقة. ونجد لها في المناطق عنايّة كبيرة، فلهذا يخصصون كل لون لطائفة، وكل حجم لمجموعة معينة.

[ولقد] اختص مجتمع الطّوارق به حتى صار ميزة لهم تميزهم عن بقيّة أفراد المجتمع، حيث يسمي الطّوارق أنفسهم بأصحاب الغطاء، مؤلف من قطعة قطنيّة ذات لون "نيلي"، بين المتر ونصف المتر والسّبعة أمتار طولا، وبين النّصف متر والمتر عرضا، وهو مصنوع من لفة من النّسيج المخاط قطعة واحدة، ويلبس على شكل عمامة لا تسمح برؤيّة سوى العينين، حيث تغطي الرّأس وتهبط إلى مستوى الأكتاف، وتقديرها وتسويتها وطريقة لها يخفي ويغطي الفم والذّقن (جعفري، 2018، ص 341- 342).

2.5 شاشيّة الحضر: هي قبعة مستديرة أو مخروطيّة الشّكل، توضع على قمة الرّأس وتثبت في أسفل العنق بواسطة رباط من الجلد أو نسيج ضيق. وقد انتقلت إلى الجزائر من الأندلس والمشرق.

وقد كان يقوم بصنعها السّراج الذّي يقطع بالمفرد الأشكال الزّخرفيّة على الورق المخصص للرسم الذّي يطبقه على القطيفة المبطنة بالجلد الرّقيق، والذّي يكسوه الدّيباج أو السّاتان أو الدّمشقي أو القطيفة. وتطرز بالذّهب أو الفضة، كما ترصعها المرأة الغنيّة بالجواهر واللّآلئ والأحجار الكريمة حتى يثقل وزنها وتصبح صلبة، مما الزّم تبطينها من الدّاخل. وكان هذا النّوع من الشّاشيّة يلبس في الحفلات والأعراس، وهذا لا يمنع من وجود شاشيات بسيطة تلبس داخل البيت(...) لم يقتصر استعمال الشّاشيّة على مدينة الجزائر، بل استعملت في تلمسان وقسنطينة وخاصة منها ذات الشّكل المخروطي، وتوضع مائلة على الرّأس (طيان، 1995، ص78).

3.5 الأكاليل المرصعة: على غرار التّيجان الذّهبيّة، أو الفضيّة الممزوجة بالنّحاس،

والمرصعة بالأحجار الكريمة، مثل "التّاج" أو "الصّرمة" العاليّة المشكلة من حلزونات من الذّهب، التّي كانت نساء العاصمة تلبسنها في الأيام العاديّة للدلالة على رفعة مكانتهن الاجتماعيّة (...) [والتّي تم] استبدالها بتيجان أقل ثمناً، تشبه العصابة المرصعة بأحجار رخيصة أو بالزّجاج الملون المزدان بأنواط، وتسمى "عصابة" أو "جبين"، وكذلك بأكاليل أرق منها مشتقة من "خيط الرّوح" العاصمي الذّي يسمى أيضاً "زروّف" في مناطق أخرى من البلاد. ولا تزال هذه الأنواع من الأكاليل تستعمل مع غالبيّة الأزياء الاحتفاليّة إلى يومنا هذا. وتلبس مجمل هذه المجوهرات الخاصة بالرّأس مع مناديل حريريّة تلفُ حول الرّأس بطريقة تجعل الشّراشب الطّويلة من خيوط الحرير التّي تحيط بحواف المنديل تنسدل على الوجه من جهتيه كخصلات شعر ناعم، مرفوقة بسوالف وأقراط لوضع لمسات الكمال على ذلك التّركيب الفني المحكم مثل "الخروص" التّي هي عبارة عن أقراط تتألف من لآلئ باروكيّة مضمومة تلبسها نساء تلمسان (وزارة الثّقافة، 2011، ص 110).

4.5 الحلي الطّقوسيّة: تعد المجوهرات الصّدريّة والعقود المختلفة التّي تتضمن بُعدا سحريا وطقوسيا، مثل عقد "أقران" لدى نساء الأوراس و "إبزيمن" لدى نساء القبائل، و"تاغالتّ" لدى نساء المزاب، و"تيراوت" لدى نساء الطّوارق من أبرز مكملات الأزياء التّقليديّة الجزائريّة بعد الأكاليل التّي تزين الرّأس.

وعلى غرار نساء المناطق الرّيفيّة، بقيت الحضريات على تفضيلهن لحلي الصّدر التّي تعمل كدرع سحري قادر على حمايّة أعضائهن الحيويّة من شر الأرواح الخبيثة خاصة يوم الزّفاف. نجد من بين المجوهرات التّقليديّة التّي تصلح لكل زمان، والتّي تتشارك فيها جزائريات المدن وبعض المناطق الجبليّة، العقد المسمى "سخاب" وهو عقد طويل تحبه نساء قسنطينة وعنابة ومسيلة والجلفة وبوسعادة وتلمسان والعديد من مدن الشّمال الأخرى. كما أنه يشكل جزءًا من حلي الزّفاف في منطقة الأوراس حيث تتناوب فيه عناصر مخروطيّة من الصّلصال الأسمر أو الأسود الزّكي الرّائحة، وينتهي ببعض اللّآلئ الباروكيّة المتأرجحة (وزارة الثّقافة، 2011 ص 110). علاوة على الأحزمة والخواتم والأساور التّي لها وظيفة وقائيّة إلى جانب وظيفتها الجماليّة.

6. خاتمة: يمكن القول في ضوء العرض السّابق، أن التّنوع الثّقافي في الجزائر، وفي مجال الأزياء التّقليديّة بالذّات، يرتبط بتراث القارة السّمراء، وتعد الأزياء الملحفيّة خير دليل على ذلك، ويرتبط هذا التّراث أيضا بالتّراث الآسيوي الذّي يعد القفطان أحد نماذجه، كما تأثر التّراث الجزائري في هذا المجال بالتّراث الأروبي من خلال الألبسة الملتصقة بالجسد.

ومما هو جدير بالذّكر هنا، أن جزءا كبيرا من هذا التّراث الأصيل تعرض إلى الإهمال والاندثار جراء التّغيرات السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، منذ دخول الاستعمار الفرنسي إلى

الجزائر في عام 1830، ولعل اختفاء الممارسات الثّقافيّة المتعلقة باستعمال الأزياء التّقليديّة في الحياة اليوميّة، من أبرز الأمثلة على ذلك، على عكس الممارسات الحرفيّة والطّقوسيّة المتعلقة بالأزياء التّقليديّة التّي تظهر في المناسبات الاحتفاليّة- ولاسيما في حفلات الزّفاف- التّي قاومت عوامل الاندثار.

ولا شك أن الأزياء التّقليديّة، سواء الأزياء الملحفيّة، أم الأزياء التّي تلبس عن طريق الرّأس، أم الأزياء التّقليديّة المفصلة، قد عكست إلى حد بعيد الثّقافات المحليّة والفرعيّة التّي تميز منطقة ما عن غيرها داخل القطر الجزائري، كما عكست الطّبقات الاجتماعيّة (الطّبقات الغنيّة والطّبقات الفقيرة)، وعكست أيضا المعتقدات والطّقوس الشّعبيّة، مما يجعلها ميدانا خصبا للدراسات والبحوث السّوسيولوجيّة والأنثروبولوجيّة.

ومن بين أهم الظّواهر التّي أصبحت سائدة في المجتمع الجزائري، تفضيل "الطّقوس الهجينة"، أي المزج العفوي ما بين الأزياء التّقليديّة الجهويّة. فالأزياء التّقليديّة التّي تعرضها العروس في حفل الزّفاف (...) لا تقتصر على تلك التّي تنتمي إلى المنطقة التّي ينحدر منها زوج المستقبل. والعروس بمناسبة يوم "التّصديرة" تلبس ثياب العرس الممثلة لكل المناطق حتى تلك البعيدة (...) ونتيجة لذلك، تضاعفت منذ عشريات قليلة مضت، الفضاءات التّي تساعد على إحياء التّراث الثّقافي الخاص بالملبس. ودخلت الملحفة ذات الأخراص في جهاز العروس التّلمسانيّة، في حين تتصدر عرائس العاصمة بـ "الشّدة" التّلمسانيّة، وأصبح الكاراكو العاصمي يمشي جنبا إلى جنب مع "تاقندورت" العروس القبائليّة، و"بينوار" العروس السّطايفيّة، و"بلوزة" عرس سيدي بلعباس ووهران (وزارة الثّقافة، 2011، ص 119).

وتمثل هذا الظّاهرة من النّاحيّة الأنثروبولوجيّة والسّوسيولوجيّة انتشارا ثقافيا للعناصر الثّقافيّة المحليّة في عدة مناطق من التّراب الوطني الجزائري، وتمثل أيضا انفتاحا ثقافيا للسكان على أغلب الثّقافات المتواجدة في المجتمع، وهذا ما يؤدي إلى إثراء مختلف الثّقافات المحليّة والفرعيّة، ويسهم في تعزيز اللّحمة الوطنيّة.

وبناء على ما سبق ذكره، نود أن نختم هذا المقال بالتّوصيات الآتيّة:

1- إنشاء متاحف في كل ولايّة من ولايات الوطن تُعْنَى بحفظ الأزياء التّقليديّة: ويكون هذا بجمع عينات من الأزياء التّقليديّة المحليّة، وتصنيفها وفق معايير معينة.

2- القيام بدراسات علميّة حول الموروث الثّقافي عامة، وحول الأزياء التّقليديّة بخاصة: إذ يمكن للباحثين الأكاديميين، والباحثين على مستوى الدّكتوراه، والماجستير، والماستر في مختلف التّخصصات العلميّة، دراسة موضوع اللّباس، والأزياء التّراثيّة.

3- دعم الحرفيين ومصممي الأزياء التّقليديّة: ويقع على عاتق الجهات المعنيّة، كوزارة الثّقافة، ووزارة السّياحة، دعم أرباب الصّناعات التّقليديّة

ماديا ومعنويا، وتشجيعهم على الحفاظ على هذا التّراث الوطني والإنساني.

3- التّرويج لمنتجات الحرف اليدويّة التّقليديّة، لا سيما في مجال الأزياء التّقليديّة، عبر مختلف وسائل الإعلام: إذ تحظي وسائل الإعلام المقروؤة، والمسموعة، والمرئيّة بدور طلائعي في مجال التّرويج لمنتجات الحرف اليدويّة التّقليديّة، ولا سيما الأزياء التّقليديّة.

4- نشر الزّي التّقليدي الجزائري في مختلف أرجاء العام: وذلك عن طريق تنظيم معارض وندوات للتعريف به، واستغلاله في ميدان الدّبلوماسيّة الثّقافيّة التّي تشمل جميع التّبادلات الثّقافيّة بين الدّول والشّعوب.

7. قائمة المراجع:

1- أحمد، محمد، لباس "السّفساري" والهويّة في تونس، الموروث، السّنة الثّالثّة، العدد 12، ديسمر 2018.

2- الجنيدي، فدوى، الحجاب بين الحشمة والخصوصيّة والمقاومة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2006.

3- بن موسى، يوسف، لثام الطّوارق: دراسة أنثروبولوجيّة وسوسيولوجيّة، الثّقافة الشّعبيّة، المجلد الحادي عشر، العدد 41، ربيع 2018.

4- تمساوت، فايزة، مضامين رسائل الاتصال غير اللّفظي: اللّباس التّقليدي للمرأة القبائليّة نموذجا، مجلة المعيار، مجلد 25، عدد 55، 2021.

5- جعفري، عز الدّين، أطلس العادات والتّقاليد بمنطقة توات، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2018.

6- دوزي، رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ط1، بيروت، الدّار العربيّة للموسوعات، 2012.

7- شريفة، طيان، الملابس النّسويّة بالرّأس بمدينة الجزائر في العهد العثماني، مجلة الدّراسات الأثريّة، المجلد 02، العدد 01، جامعة الجزائر2، 1995.

8- شريفة، طيان، ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1991.

9- وزارة الثّقافة الجزائريّة، الزّي التّقليدي الجزائري: تراث ثقافي حي للجزائر، وزارة الثّقافة، الجزائر، 2011.